تعقيب ورد

١ — أوافق الأستاذ الجليل نقولا الحداد على قوله فى كلمته المنشورة فى العدد ٥٨٣ تعليقاً على مقالى « مسائل فى وحدة الوجود » : « إن الأديان السماوية الثلاثة ترفض نظرية (وحدة الوجود) رفضاً باتاً وأنها مجمعة على أن الله والوجود المادى منفصلان ، وأن الله خالق الوجود المادى ومُسيِّره »

غير أني لا أوافقه فيما ذهب إليه من أن بيئتنا الفكرية فى البلاد العربية ليس فيها محل لحرية الفكرية أو القول أو القلم . فإن ذلك حكم قاس على تلك البيئة التى عرفت أنواع الحريات حتى فى القرون الوسطى .

وليست منافشة أهل مذهب دينى أو فكرى لأهل مذهب آخر دليلا على أن الحرية غير مكفولة ، فإن الصراع والنزال فى المجال الفكرى لانتصار مذهب على مذهب ليس معناه الحجر على الحريات ما دام هذا الصراع لم يتخذ سبيل القوة والإرغام والاضطهاد من جماعة لجماعة .

ولست بحاجة إلى التدليل على أن كثيراً من الآراء والمذاهب فى البلاد العربية وفى مصر خاصة لا يتفق مع المقدسات من العقائد . ومع ذلك يحيا أصحابها ويستطيعون أن يدافعوا عن آرائهم وحججهم ولا تمس أشخاصهم بسوء . « ولا يساقون إلى قضاء الامتحان الدينى » .

نعم قد تنسب لبعضهم تهمة المساس بالعقيدة الدينية « ويحمل عليه حملة تكافئه » . ولكن ليس يتعدى ذلك إلى غير الاتهام وحملة الكلام ... وهذا بالطبع جائز لكل مناظر يرى رأياً ويقرر حكماً فى حدود الأدب ، وعلى المناظر الآخر أن يدفع التهمة أو يرتضيها لنفسه إن كان ما صدر منه عن عقيدة راسخة يريد أن يدعو الناس إليها

فإن كان الذين يريدون أن يمسوا العقائد الدينية الموروثة معتقدين مخلصين لآرائهم ، ويرون أنها الحق الذى يجب أن يدعى إليه فلماذا لا يحملون فى سبيلها الاضطهاد والعذاب الذى لاقاه مؤسسو هذه العقائد والأديان ، ويلاقيه كل داع إلى الخير ؟

والطبيعة البشرية حتى فى المجال العلمى الطبيعى تقاوم كل نظرية حديثة وقصة مقاومة العلماء والأطباء لنظريات إخوانهم المكتشفين لحقائق جديدة قصة معروفة حتى فى هذا العصر . فليس الأخذ والرد والدفع والجذب فى المجال الدينى والفلسفى فريداً لا نظير له ، وإنما طبيعة الناس المقاومة لكل حديث إما حسداً وإما جحوداً وضيق فكر ، وإما عن عقيدة واقتناع . والزمن كفيل بمعاونة الحق على الظهور والنمو والغلبة . وبقاء الأصلح قانون طبيعى (وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض)

فعلى أحرار الفكر الذين يرون آراء حديثة فى الحياة أو الاعتقاد أو حياة الاجتماع أن يحملوها حمل آباء الإنسانية الأولين من الأنبياء والحواريين ، وأن يلاقوا فى سبيل تبليغها ما لاقى أولئك من التسفيه والتشريد والتجويع والتقتيل إن كانوا بها مؤمنين ، وللانسانية مخلصين . وعليهم بعد ذلك أن يتحملوا تهم الكفر والإلحاد التى رمى بها الأنبياء . فلقد رمى كل رسول بتهمة الكفر والإلحاد فى العقائد الوثنية والتقاليد والأخلاق الهمجية ، ومع ذلك فقد سخروا من الاتهام وتحملوا الآلام حتى انتصروا وانتصرت كلماتهم ، وصار العالم الراقى كله يدين لتلك الكلمات ! وعلى هؤلاء الأحرار بعد كل ماتقدم أن ينتصروا ... وأن يحملوا الطبيعة الإنسانية على الاستجابة لآرائهم إن استطاعوا ... وإلا فعليهم أن يعلموا أن الطبيعة الإنسانية لا تأبى مذاهبهم ولا تستعصى على الاستجابة لها إلا لأنها « نشاز » وشذوذ لا يصلح معه أمر حياة الاجتماع ، ولا يأنس إليه الطبع الإنسانى العام الذى لا يخضع للعقل وحده ، وإنما يخضع لمزيج مبهم من العقل والغريزة والعاطفة ...

وقديماً فشل العقل اليونانى بفلسفاته أن يوجد أمة صغيرة كاليونان ، ويقودها نحو الإيمان بالله الواحد ، ويترك الوثنيات التى كانت تضج بها معابدها . . ولكن الطبع الباكى الصارع الحنيفى الفطرى المتمثل فى إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد والمتعلق بالله الواحد ، وبأصول الخير والفضيلة قاد اليونان والرومان ووحدهم . وقاد من بعدهم أمماً عظيمة لا تزال ولن تزال تسيطر على مقدرات الأرض وسياسة الاجتماع

٢ — بدت للأستاذ ابراهيم السعيد عجلان ملحوظتان حول أمرين وردا فى المقال السالف الذكر

أولها : تقريرى أن إبراهيم عليه السلام توهم أن الله تعالى يخلق بأدوات ووسائل ، مع أن إبراهيم سأل : « كيف تحيي الموتى » ولم يسأل « بأى شيء تحيي الموتى » .

والذى قلته بالحرف : لقد توهم إبراهيم أن هناك « كيفية » للإحياء ، وأنه هناك أدوات ورسائل للخلق والتكوين

فأنا لم أحول « كيف » عن معناها حتى ولا لفظها ، بل قدمت معناها ، ثم ألحقته بلازمه الذى لا بد يخطر بالبال عند إجراء « كيفية » التكوين والخلق . فإن أدوات التكوين والخلق فى خيال الناس تلحق « بالكيفية » وصورها

ثانيهما : تفسيرى الفعل صار من « صُرْهُنَّ » بأذبحهن ... وهذا فى رأى الأستاذ مجلان ينافى صريح اللغة وسياق الآية

والرد على هذا الاعتراض من وجهين :

١ — فى قاموس الفيروزبادى : (صارَ الشيءَ يصُورُه ويصيرُه : قطعه وفصله) وهذا صريح فى معنى الذبح . وأكثر من الذبح وهو التقطيع وتكون « إليك » فى الآية ضميمة لتصوير الحال إذ أن الحال فى ذبح الطير أن يميل به الذابح ويضمه إلى جانبه ليتمكن من إجراء السكين .

٢ — لو كان معنى « صُرْهن » ضُمَّهن وأمِلهن فقط لكان تفسيرها بالذبح تفسيراً بلازم الضم والأمالة فى هذا الموضع الذى يتعين فيه ذلك التفسير ليتناسب ذلك مع (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً)

عبد المنعم خلوف

رأى الأب مرمرجى فى وحدة الوجود

ردّا على كلمة الدكتور زكى مبارك المنشورة فى العدد ٥٨٢ من (الرسالة) الغراء أقول : كنت قد كتبت إلى العلاّمة الأب مَرْمَرْجى الدومينيكى أستوضحه رأيه فى وحدة الوجود بعد أن قرأت مقال الأستاذ دريني خشبة الأول حول هذا الموضوع ؛ فأجاب حضرته بما يلى :

« الوَحْدِيّة Monism مذهب فلسفى معاكس فى مختلف وجوهه لمذهب ثنائية أو كثرة الوجود dualisme أو Plusalisme فبينما تميز فلسفة « كثرة الوجود » تعدد الأشياء تنكر فلسفة « وحدة الوجود » حقيقة التعدد ، وتذهب إلى أن ما يعد كثرة ليس إلا ظواهر للموجود الواحد . إذ تميز فلسفة الكثرة بين الجسد والنفس ، وبين المادة والروح ، وبين الموضوع والفاعل ، وبين المادة والقوة ، فالمذهب الجاحد لمثل هذا التمييز والمحيل لأحد حدّى التناقض إلى الآخر ، أو الخالط الإثنين فى وحدة عليا ، يدعى مذهب الوحدية أو مبدأ وحدة الوجود

« فى الفلسفة الغيبية أو الميتافيزيقية ، كان قدماء فلاسفة الهنود يذهبون إلى أن التغير والكثرة والسببية ليست حقيقة ، وأن لا حقيقة إلا موجود واحد هو الله ، وهذا المبدأ ينكر الموجودات إلا وجود الله ، والقائلون به هم المثاليون الصوفيون Idéalistes mytizus أما قدماء اليونان ففلاسفتهم أنكروا مثل الهنود ، وجود الكائنات ، وقالوا إن الوجود واحد غير متغير وسرمدىّ ، ولم يصرّحوا باتحاد هذا الوجود بالله ، ودون الميل إلى الصوفية ؛ فكانوا مثاليين أو تصوريين صرف . ومثل هذا المذهب قالت به الأفلاطونية الجديدة Néo Platonisme ، وظهر فى فلسفة سبينوزا Spinoza ، وفى فلسفة الإطلاق Absolutisme لهيكل Hegel ، وفى فلسفة Haekel الغيبية الساعية فى جمع المادة والروح فى وحدة عالية . فضلاً عن الوحدة التصورية المثالية Monisme idealiste هناك الوحْدِيّة المادية Monisme materialiste المدعية أن لا وجود إلا لحقيقة واحدة وهى المادة سواء أكانت هذه المادة الأولى مجموع ذرات أم سديما صدر عنه الكون

« الوحدية » ليست هى « التوحيد » أو الإقرار بوجود إله واحد ، وإنكار تعدد الآلهة أو الوثنية ، وإنما تطلق على « الوحدة الحلولية » Monisme prantheiste القائلة بأن لا تميز بين الله والكون ، سواء قيل إن الله حالٌ فى الكون حلول الجزء فى الكل ، أو قيل إن لا وجود إلا لله وما الكون إلا ظهور الله أو تجليه ، وهذا ما ينافى التوحيد Monothe'isme أى وجود الله ووجود الخلائق المتميزة عنه . التوحيد لا ينكر أن الله ظاهر بخلائقه ، ولكنه ينكر أن لا وجود للخلائق . التوحيد ثنائى أى يقبل بوجود الله ووجود الكائنات متميزة عنه . إن الله متميز عن الكون ومستقل بذاته ، والكون متميز عن الله لكنه

غير مستقل عنه ، التوحيد يقول إن العالم قد خلقه الله من العدم ، وهذا أيضاً مذهب فلاسفة اليونان كسقراط وأرسطو وأفلاطون . أما غيرهم من أهل الوحدية فيذهبون إلى أن أصل العالم المادة ، وأن هذه المادة القديمة صدرت عنها الموجودات ، وهكذا يخلطون بين العلة المادية والعلة الفاعلة السببية »

أما بعد ، فهذا ما كتبه عالم له فى ميدان الفلسفة باع طويل فما قول الدكتور زكى مبارك بعد ذلك ؟

(القدس) (أ . م . م)

بين الفلسفة والدين

قلت للأخ العزيز الأستاذ دربى خشبة إنى حاضر لمساجلته حول نظرية وحدة الوجود ، على أن يكون أساس المساجلة أن نترك التفكير فى أن هذه النظرية تجنى على العقيدة الإسلامية ، فكيف كان رأيه فى هذا الأساس ؟

تفضل فقال : « هذا شرط عجيب ، ولست أوثر أن أقول إنه شرط خبيث ! » ثم كرر هذه العبارة بعد سطور من مقاله الجميل !

وأقول إن من حقه أن يصف ذلك الأساس بما يريد ، ما دام مخلصاً فى الوصف ، وهو فى نظرى من أهل الصدق والإخلاص

ولكنى لا أقبل أبداً إخضاع الفلسفة للدين ، لأن هذا يبعدها عن مراميها ، ويصدها عن رياضة الفكر على التحليق فى آفاق المجهول من سريرة الوجود

والخير للاسلام وأهله أن لا نزج به فى جميع التيارات الفكرية . فهذا المسلك يبلبل الخواطر ولا يعود على العقيدة الإسلامية بأى نفع ، وإن ضرره لمحقق

وأقول أيضاً إنى لا أجعل الإسلام فى بالى عند كل فكرة يجول فيها عقلى ، لأن هذا تعسف وتكلف ، ولأنه صدٌّ للفكر عن الخوض فى الحدود والفروض وهى المفتاح لمغاليق الثروة العقلية

والأستاذ دربى قال وكرر القول بأنه يريد لنفسه وللناس إيماناً بسيطاً ، فأنا أرجوه أن يثبت على إيمانه البسيط ، على شرط أن يسمح لرجل مثلى أن يختار الإيمان المعقد إلى أبعد حدود التعقد والاشتباك ، وهو الإيمان بوحدة الوجود ، وهو إيمان فلسفى لا أريد وصله بالعقيدة الإسلامية ، لأنى أكره الخلط بين الفلسفة والدين ، ولأنى أمقت مراءاة الناس

أما بعد ؛ فهل تريد أن نتساجل على هذا الأساس الذى طاب لك وصفه بأنه أساس عجيب أو خبيث ؟!

وفى انتظار جوابك أقدم إليك تحية الشوق وصادق الثناء

زكى مبارك

كتب جديدة للدكتور مندور

دعامة الإتقان للقيم الأدبية ترتكز على صدق فى التعبير وصدق فى التصوير ، وعلى قدر حظ الأديب منهما يكون حظ آثاره الأدبية من الخلود ، والمتأمل فى كل ما أنتجه الدكتور الفاضل محمد مندور يلمح فى ثناياه روح الصدق فى الإحساس والتعبير . فقد كان الدكتور صادقاً حتى فى كتابه المترجم ، فأكبر اليقين لا أكبر الظن أن الدافع لترجمته كان ما يشعر به فى أعماقه من تجاوب بين هذه الأفكار المترجمة وبين ما تزخر به وجداناته . وتلك ميزة ملموسة شاهدناها فى ترجمته لكتاب « دفاع عن الأدب » ولقد كان دكتورنا المفضال صادقاً أيضاً فى كتابه « فى الميزان الجديد » بل إن كتاباته عن الأدب والشعر المهموس إذا فهمت على حقيقتها نهضت دليلاً قاطعاً على صدق التجاوب بين أحاسيس الدكتور وتعبيره . إن رجلاً يحس الهمس ينبض فى ألفاف الكلمات ويبلغ من رهافه الحس أن يقيم (لفتات الحياة) وزناً كبيراً .. إن رجلاً هذا شأنه لرجل صادق فى كل شىء . وإنى لأنتهزها فرصة لأقول إن الذى أفهمه من الهمس فى الشعر هو صدق التعبير الذى يلمس الفتات ويعنى بالخطير من الأمور ، ومن ثم يكون كل صادق هامساً . ومن ثم تكون كل كتابة صادرة عن شعور عميق ، وتأثر بالغ همساً أيضاً ، وهل كانت دموع أستاذنا الزيات حين بكى ولده إلا الهمس النبيل ، وهل كان رثاء الأستاذ العقاد لبيجو غير الهمس ، وكم فى كتاب الأيام من همس حبيب . إن وفاء الكاتب أو الشاعر لموضوعه وإيمانه به وصدقه فى تصويره ، لا يخرج إلا الهمس . وما كان دفاع صديقنا الدكتور الجليل عن الأدب المهموس إلا الهمس فى أبلغ معانيه . وبعد فإن المكتبة العربية لتعتز بهذه الكتب الثلاثة : تمازج بشرية ، ومن الحكيم القديم إلى المواطن الحديث . وفى الميزان الجديد

(الاسكندرية) حسين محمود البشبيشى